

The Environmental & Health Effects of USA Invasion and Occupation of Iraq

1991 - 2003 - وما بعدها

ا.د. عبد الكاظم العبودي

جامعة وهران/ كلية العلوم/ قسم التقانات الحيوية/ الجزائر

Kadhmalaboudi@yahoo.ca

مدخل ومقدمة

لم تتعامل الولايات المتحدة مع العراق إلا ساحة تجارب واسعة للعمليات السياسية والدبلوماسية والحربية حتى تكلفت محاولاتها بنجاح الغزو واحتلال والإدارة المباشرة للعراق، الذي بات مسرحاً للتجريب الأمريكي على كل الأصعدة. إن الولايات المتحدة تعرف جيداً تبعات عملها في العراق عندما اختارته مسرحاً لتجريب سياساتها وحربها العسكرية. أصبح العراق أرضاً محروقة وملوثة ومُنتهبة من حيث الواقع، خصوصاً خلال امتداد فترة الحرب على العراق 1991 ومن ثم الحصار وفرض قوانينه وعبث فرق التفتيش باسم الشرعية الدولية وتنفيذ قرارات الأمم المتحدة. تكاملت تلك الممارسات في تدمير كل البنى التحتية من مستشفيات ومراكز صحية ومدارس وجامعات ومخابر علمية وطبية وشبكات تصفية المياه ومحطات إنتاج الطاقة الكهربائية وشبكة منظومات الصرف الصحي ومنظومات السدود والري في الأهوار العراقية، كما شمل التخريب المتعمد مخازن المواد الغذائية وحقول الزراعة.

كما شمل القصف المراكز والمنشآت النووية العراقية ومعسكرات الجيش ومخازن العتاد والمصانع العسكرية والمدنية وما نجم من تلك الحرب والغزو والاحتلال من حصيلة مدمرة لاحقة تتعلق بالتلوث الإشعاعي والكيميائي الواسع الناجم عن عمليات القصف العامة بمرحلتها في عدوان 1991 والغزو في ربيع 2003، ومنها قصف ملجأ العامرية وبقية ملاجئ السكان الآمنين، بالصواريخ البعيدة المدى والطائرات، والإقدام على عمليات أكثر خطورة منها قصف المفاعل النووي العراقي وهو في حالة اشتغال.

وبعد إتمام عمليات الغزو واستكمال احتلال العاصمة العراقية بغداد تم التعمد في ترك مركز الأبحاث النووية العراقي في التويثة لعمليات تخريب وتعرضه الى عمليات نهب مقصودة ومنظمة، وتركه من دون حماية فحدثت الكارثة الإشعاعية المكملة لما سبقتها من كوارث. كما تركت المعسكرات العراقية التي ظلت من دون حراسة، وكذلك معامل التصنيع العسكري، حيث تعرضت كل المعامل والمنشآت

العسكرية والمدنية ومخازن الأعتدة والوقود والمواد الكيماوية لشتى الأغراض إلى النهب والتفريب والانتشار الواسع بين السكان.

حجم الكارثة البيئية والتلويث الإشعاعي والكيماوي: [1991 - 2003 - 2013]

سجلت الولايات المتحدة الأمريكية سبق كونها أول دولة في التاريخ إستخدمت أعتدة حربية خطيرة مرمة دولياً، مشعة وسامة، تحمل في مكوناتها التدميرية عنصر اليورانيوم المنضب، وكان العراق أول حقل لتجريب تلك الأسلحة، أين جرى استخدامها في حرب شنتها كل صنوف القوات المسلحة الأمريكية على نطاق واسع.

كميات الأعتدة التي أسقطت على العراق تتجاوز الأهداف المسطرة للعمليات العسكرية المطلوب منها، كما اعلنت بذلك الإدارة الامريكية، عن مهاجمة القوات العراقية، التي كانت في حالة انسحاب فعلي عائدة نحو العراق، بل كانت خطة الحرب مبيتة لتحقيق أهدافا أخرى فوسعت من نطاق العمليات الحربية نحو كل المدن والأهداف العراقية، العسكرية منها والمدنية في عموم العراق ،

في حرب عام 2003 قصفت القوات الأمريكية والبريطانية وحلفائهم كافة أرجاء العراق، بالصواريخ والقذائف والقصف الجوي والدبابات المناطق الكثيفة بالسكان، وتبين أن الذخائر المستخدمة كانت مطورة كثيراً، وذات قدرة تدميرية رهيبية، وأكثر فتكاً واتساعاً. ورغم الادعاءات الأمريكية ان الحرب ستكون دقيقة وجراحية العمليات، ألا ان ما حدث فيها من الأخطاء والتهور في ردود الأفعال من قبل القوات الأمريكية زاد من فداحة الأضرار.

أسقطت قوات الولايات المتحدة الأمريكية على الأراضي العراقية عام 1991مئات الألوف من أطنان الأسلحة التدميرية المختلفة. منها ما كانت تحمل رؤوساً عالية القدرة على الاختراق تحتوي سبائك اليورانيوم المنضب، كانت حصيلتها المقدره بأقل التقديرات 340 طناً وأعلى تقدير بحدود 800 طناً من اليورانيوم المنضب، أُضيف إليها 2200 طناً في العام 2003 خلال عمليات غزو العراق.

وتطبيقاً لدراسة البروفسور كاتسوما ياغاساكي وتقديراته التي يرى فيها: إن فعل وتأثير كل 800 طن من أعتدة اليورانيوم المنضب كذلك التي استخدمت في تدمير العراق هو ما يعادل 83000 ضعفاً من مجموع المواد المشعة الناجمة والآثار الناجمة عن فعل قنبلة نياغازاكي التي أسقطتها الولايات المتحدة الأمريكية في آب/ أوت 1945.

وعلى هذا الأساس من الحسابات التقديرية للأضرار يكون المجموع الكلي لكمية أطنان اليورانيوم المنضب التي أسقطت على العراق 2540 طناً، بأقل تقدير، سيكون ما يعادل 285000 ضعفاً لتأثيرات قنبلة نياغازاكي الأمريكية.

إنتشار التلوث والإشعاعات:

في العام 1994، أنجز فريق بحثي عراقي متخصص، بإشراف الأستاذ الدكتور بهاء الدين حسين معروف، دراسة موسعة، شملت مناطق من جنوب العراق حيث بلغت الزيادة في مستويات الإشعاع في بعض المناطق الملوثة 14 ضعفاً. وبينت نتائج التحاليل الفيزيائية وجود تراكيز عالية جداً من النويدات المشعة التابعة لسلسلة تحلل اليورانيوم - 238 التي تنبعث منها أشعة جاما، وعلى الأخص الثوريوم - 234، البروتكتونيوم - 234، والراديوم - 226. وأثبتت دراسات هذا الفريق وما أسهمت به الباحثة العراقية سعاد ناجي العزاوي وجود اليورانيوم المنضب وانتشاره على نطاق واسع في محيط المواقع وجنوب العراق ومدن عراقية أخرى.

في عام 1996 زار البصرة العالم الكندي هاري شارما، أجرى مسحاً، وأخذ عينات من بول ودم مرضى مدنيين وعسكريين، أكد مخبرياً وجود اليورانيوم المنضب في تلك العينات، وتوقع أن يموت بالسرطان 100 ألف نسمة من العراقيين في السنوات التالية.

وفي عام 2000 زار البصرة العالم البريطاني كريس باسبي وقام بنفسه بقياس التلوث الإشعاعي حول ركاب الحرب من بقايا الدبابات والعربات المعطوبة، وسجل مستويات الإشعاع عالية.

في دراسة أجراها المركز الطبي الدولي لأبحاث اليورانيوم في أيلول - تشرين الأول 2003 وجدت ان التلوث الإشعاعي منتشر في كافة مدن وسط وجنوب العراق، بدرجة خطيرة بلغت في بعض المواقع التي تعرضت للقصف بذخائر اليورانيوم المنضب ، آلاف المرات الحد المسموح به؛ لكن هذه النسبة من التلوث الإشعاعي لم تكن مقتصرة على المناطق التي قصفت بذخائر اليورانيوم المنضب؛ وإنما شملت مناطق أخرى كانت بعيدة عن القصف.

في أيلول/سبتمبر 2005 أكد الدكتور وجدي هيلو- رئيس قسم البيئة والصحة المهنية في جامعة ستوني بروك الأمريكي : بأن ذخيرة اليورانيوم المنضب لعبت دوراً كبيراً في إرتفاع نسب السرطان في العراق. وأعلن ، بأن البيئة في العراق ملوثة بدرجة كبيرة مما أدى إلى ظهور العديد من أمراض السرطان.

حال دخول القوات الأمريكية الغازية الأراضي العراقية، وخاصة العاصمة بغداد، اشتدت عمليات المقاومة العراقية ضد قوات الاحتلال و ضد عناصر شركات الحماية الخاصة المرافقة للاحتلال مثل شركة بلاك ووتر والمرتزة المجندين فيها، ثم جاء الدور الأمريكي للانتقام ضد مدن عراقية أعلنت رفضها للاحتلال مثل الفلوجة والنجف والثورة وديالى وبابل والبصرة، وغيرها من المناطق التي شهدت ساحاتها مقاومة ورفض ضد قوات الاحتلال الامريكية تشير الدلائل والدراسات المتخصصة: إن القوات الأمريكية إستغلت تلك العمليات لتجريب أسلحتها وتقنياتها الحربية في حروب المدن، واستعملت وحداتها الكثير من الأعتدة الخفية، وأوضحها كانت علنا استخدام أعتدة الفسفور الأبيض، التي تم به قصف مدينة الفلوجة ظاهريا/

كان مركز الوقاية من الإشعاع التابع لوزارة البيئة العراقية قد حدد 317 موقعاً ملوثاً بالإشعاع في العراق، يحتمل وصول أضرارها إلى 22.5 مليون عراقي في عموم المحافظات من مجموع عدد سكان العراق البالغ 27 مليون نسمة آنذاك. وباشرت وزارة البيئة التعاون مع برنامج الأمم المتحدة للبيئة لمتابعة هذا الموضوع .

وبعد إعلان الولايات المتحدة نيتها الانسحاب الرسمي من العراق نهاية 2011، واستنادا إلى تقارير صحافية ووثائق أعلنتها وزارة الدفاع الأمريكية "البنتاغون" نشرت متطابقة تؤكد أن القوات الأميركية خلفت ورائها نحو خمسة آلاف طن من النفايات الخطرة، إضافة إلى 14500 طن من الزيوت النفطية والأتربة الملوث بالزيت التي تراكمت على مدى سنوات تواجدها في العراق.

أخطار تحويل العراق إلى مكبات ومقابر لدفن النفايات النووية والإشعاعية والكيميائية:

موقف الحكومات العراقية الإحتلالية من قضايا التلوث في العراق

تنصل وزارات البيئة والصحة والعلوم والتكنولوجيا عن مسؤولياتها لمواجهة الأخطار.

اعلنت وزيرة البيئة في تصريحات صحفية كثيرة، نشرت في أكثر من وسيلة إعلامية: " إن 140 ألف عراقي أصيبوا بمرض السرطان نتيجة استخدام أسلحة تحتوي على اليورانيوم المنضب وهي بحدود 2000 طن من اليورانيوم المنضب خلال عام 2003، وتشير الوزيرة إلى ظهور أكثر من 8000 حالة إصابة جديدة كل عام. وتوضح الوزيرة قولها : " بان ظهور حالات الإصابة بالسرطان جاء نتيجة تلوث 350 موقعا في العراق خلال عمليات القصف بأسلحة تحتوي على اليورانيوم المنضب".

في أواخر عام 2010 صدرت عن منظمة الصحة العالمية تقديرات تؤكد تزايد الإشعاعات الناتجة من الحروب والمخلفات العسكرية. أكدت ذلك وزارة الصحة العراقية، معلنة بانها تقديرات قريبة من

الواقع. وجاء في تصريح لمصدر في الوزارة نقله المكتب الصحافي لرئاسة الوزراء، أن الدراسات والبحوث أظهرت تلوث معظم محافظات البلاد، خصوصاً البصرة، بمخلفات عسكرية ملوثة بالمواد المشعة، الأمر الذي ترك أثراً على شكل إصابات بالسرطان. ولفت المصدر ذاته الى تقارب تلك النتائج مع تقديرات منظمة الصحة العالمية حول نسب التلوث بالإشعاعات الناجمة عن الحروب والمخلفات العسكرية التي تشمل اليورانيوم المنضب

أرقام ومقارنة الإصابات السرطانية والتشوهات الخلقية

تؤكد التقارير الطبية ازدياد حالات الإصابة بأمراض السرطان في عموم العراق 7 أضعاف عما كانت عليه عام 1989، وازدادت نسبة الإصابة بسرطان الرئة وحده 4 أضعاف، ومعدل الوفيات به 5 مرات. واليوم تشير التقارير الى وجود أكثر من 170 ألف عراقي مصاباً بالسرطان، يموت منهم ما بين 8 إلى 12 ألف سنوياً بسبب شحة الأدوية واكتشاف الإصابات في مرحلة متقدمة. أشارت إحصائيات المستشفيات العراقية الى أن عدد الأطفال العراقيين المصابين بالسرطان إرتفع من 32 ألف إصابة في عام 1990، ليصل إلى 130 ألف إصابة في عام 1997. وأضيفت لها خلال العقد الماضي عشرات الآلاف من الإصابات السرطانية. وبلغت الإصابات لغاية عام 2001 أكثر من 74 ألف و 400 إصابة. و قدر الخبراء أن تبلغ 100 ألف إصابة مع نهاية عام 2007- وفق معدلات الإصابات للسنوات 2000 – 2004. وبمناسبة اليوم العالمي لمكافحة السرطان، أشارت إحصاءات منظمة الصحة العالمية إلى أن عدد الوفيات بسبب مرض السرطان في العراق وصل في عام 2005 وحده إلى 15 ألف حالة وفاة. وشكل 6.6 في المئة من مجموع الوفيات الناتجة عن الأمراض بشكل عام. ومن المتوقع أن تزداد هذه النسبة إلى 10 % في عام 2030.

أشارت مصادر وزارة الصحة بان مستشفى الإشعاع والطب الذري في بغداد يستقبل معدل 100 حالة سرطانية جديدة يومياً. وأوضح الدكتور مهدي عبد الله السراج - طبيب اختصاصي أقدم ومسؤول اللجنة العلمية في المستشفى المذكور: بأن أكثر أمراض السرطان شيوعاً هي: سرطان الثدي لدى النساء، سرطان الرئة، وسرطان المثانة لدى الرجال، وسرطان الدم لدى الأطفال. وتوقع خبراء أن يصل المعدل السنوي للإصابات السرطانية إلى نحو 25 ألف حالة، وهذا الرقم لم يبلغه بلد في العالم سوى اليابان بعد جريمة إلقاء القنبلة الذرية على مدينتي هيروشيما ونيغازاكي في الحرب العالمية الثانية.

أعلنت وزارة الصحة العراقية في شهر آب/ أوت الماضي تسجيل 16 ألف إصابة بالسرطان في العراق سنوياً، يتصدرها سرطان الثدي عند النساء. وتقف خلف هذه الأرقام المرتفعة والتلاعب بها حزمة

أسباب والتزامات متبادلة لا تستبعد الطمع في إتمام الصفقات التالية من ميزانيات خاصة وإدارة مستشفيات وشراء الأدوية الفاسدة.

في منتصف العام 2010 تصاعدت أرقام الإحصائيات العراقية، معبر عنها في إحصائيات وأرقام وتقارير مخيفة؛ فعن السرطانات المسجلة في عموم العراق ظهر إحصاء منسوب لمركز الأشعة والطب النووي العراقي، يشير الى تسجيل نحو 7 آلاف حالة إصابة بمرض السرطان منذ بداية عام 2010 حتى منتصفه، فيما أعلنت مركز الأشعة والطب النووي العراق أيضاً عن وجود 17 % من الحالات المذكورة بالإقليم. وعندما زرنا البصرة مرارا في سنوات 1999 و 2000 و 2001 ضمن وفود وبعثات دولية نقلنا الى العالم صورة حجم المأساة التي كنا ولا زلنا نشهدا على فصولها الدرامية والمأساوية، قدرنا حينها حجم الكارثة ومأساة الوضع الصحي وحراجه وموقف الكوادر الطبية العراقية المجاهدة في البصرة الصابرة وهم يواجهون أحوال واجتياح السرطانات أجساد مواطنيهم.

الخاتمة:

من يتهرب من المساءلة والعدالة من العراقيين والأمريكيين:

ونتساءل هنا كم يحتاج ضحايا الإشعاع النووي الأمريكي في العراق ليعالجوا مرضاهم ويظهروا بيئتهم ويشعرون بالأمان والصحة؟ الجواب معروف لدى الأمريكيين، ولكن الأمريكيين حتى هذه اللحظة لم يعترفوا بحق ضحية عراقية واحدة من بين الملايين الذي قتلوا أو ظلوا أحياء أو هم في حالة مرضية مستمرة ... لا شيء سيشملهم من هذه المليارات الأمريكية المرصودة لتطوير أجيال جديدة من أسلحة الموت والدمار الشامل، منها تم تجريب أجيالها المتعاقبة في العراق 1991، وخلال سنوات الحصار بين 1991 - 2003، ثم تم تجديد القصف بها لبغداد ومدينة الفلوجة وحي الثورة ببغداد وديالى والنجف وصلاح الدين والبصرة وأم قصر وغيرها من مدن العراق.

ما هي التبعية القانونية المترتبة عن تلك الحصيلة من شن الحرب على العراق بتحالف ثلاثيني من الدول قادت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وما نجم بعده من حصار اقتصادي قاسي ذهب ضحيته أكثر من مليون وثمانمائة الف نسمة؟

يجب ملاحقة مقرري وواضعي إستراتيجية الحرب والحصار والغزو على العراق من قادة الإدارة الأمريكية وأدواتها التنفيذية والاستشارية ممثلة في وزارة دفاعها وخارجيتها ومخابراتها وإعلامها المضلل للرأي العام الأمريكي والعالمي بنشره الأكاذيب ومغالطة الحقائق على الأرض، يتبعهم في المسؤولية كل من إيكبوس وبيتلر وبلوكس والبرادعي وفرق التفتيش الدولية التابعة للأمم المتحدة ومجلس الأمن على مسابرتهم الإرادات الأمريكية في طمس الحقائق والتكتم على حجم الخراب الشامل الذي تعرض له العراق. ولا بد من ان العدالة الدولية تقضي بمحاكمتهم على إجرامهم وعلى كذبهم وتحريفهم للحقائق او حتى إخفائهم للمعلومات عن حجم الدمار الشامل الذي تعرض له العراق أرضا وشعبا ومؤسسات. ولا بد من تشكيل لجنة قانونية للتعويض عن كل اثر ناجم عن الحرب والحصار والغزو وما بعدها.